

## الذوف والرعب

من ضرر مقولة " نستهد قوتنا

من الشعب"

كلهٗ ومقتطفة من درس تفسير ابن كثير

للشوخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الحج عند قوله  
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ  
كَفُورٍ﴾ [الحج: 38]:

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر  
الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكأوهم وينصرهم، كما قال تعالى:  
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36] وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى

اللَّهُ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق: 3].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الخيانة في العهود والهواثيق، لا يفي بها قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف بها. انتهى كلامه رحمه الله.

قال الشيخ يحيى حفظه الله تعالى: وهذه الآية ينبغي للمسلم أن تكون له عندها وعند أهئالها وسائر آيات القرآن وقفات تأمل، فإن الذي يدافع عن المؤمن هو الله سبحانه وتعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 36]، فمَنه يستهد العون ومنه تستهد القوة قال الله عز وجل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (( والله يا معاذ أني لأحبك فلا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو (( رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي واهكر لي ولا تهكر علي واهدني ويسر الهداي إلي وانصرني على من بغى علي اللهم اجعلي لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطوعا إليك هجرتا أو هنيئا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي وأهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي)) أخرجه أبو داود وهو حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فمَنه تستهد القوة، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (( ألا أدلك على كنز من

كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة , (( وفي حديث أبي ذر )) وأمرني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز تحت العرش )) , (( **وهعنى لا حول ولا قوة إلا بالله** )) أي لا تحول لنا عن معصيته ولا عن شيء نريد التحول عنه , ولا قوة لنا على طاعته ولا على إقامته شيء نريد إقامته إلا بالله , فالله هو الحي القيوم , وهعنى القيوم القائم بنفسه الهقيم لغيره , والله يقول ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَهُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا** ﴾ [الفرقان: 58] , فأنت تستهد القوة من الله , قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ **وَآتَىٰ عَلَيْهِمُ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ \* إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون \* قالوا نعبد أصنامنا فنظلم لها عاكفين \* هل يسمعونكم إذ تدعون \* أو ينفعونكم أو يضرون \* قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون \* قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون \* أنتم وأباؤكم الأقدمون \* فإنهم عدو لي إلا رب العالمين \* الذي خلقني فهو يهدين \* والذي هو يطعمني ويسقين \* وإذا مرضت فهو يشفين \* والذي يهيئني ثم يحييني \* والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين \* رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين \* واجعل لي لسان صدق في الآخرين \* واجعلني من ورثة جنة النعيم \* واغفر لأبي إنه كان من الضالين \* ولا تخزني يوم يبعثون \* يوم لا ينفع مال ولا بنون \* إلا من أتى الله بقلب سليم \* وأزلفت الجنة للمتقين \* وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ [الشعراء: 91] , الآيات , والشاهد منه أنه استهد قوته من الله سبحانه وتعالى , فالقوة لله جميعا , قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ أُنذِرُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**

إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿البقرة: 165﴾، من الذي يستطيع أن يقويك وأن يشفيك وأن يغنيك وأن يدفع عنك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38]، وقال تعالى ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107]، وثبت عند الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((واعلم أن الأمة لو اجتهت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتهتوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقاليم وجفت الصحف)).

تستهد القوة من رب العالمين، والحذر الحذر مما يزينه الفكر الديهقراطي لبعض الناس أن الشعوب تستهد قوتها من الشعوب، وأن الشعب يستهد قوته من الشعب، وأن المسؤول يستهد قوته من قوة الشعب، هذا لا يجوز، قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّعُ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ خَيْرٌ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، الله بيده الخير، وفي الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه سهدت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (( من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)).

وقوتك التهكنية تستهدهما من الله قال الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلِيُهَكِّنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمُ  
مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُوَّانًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

قوتك العقلية والإيمانية تستهدهما من الله، كان النبي صلى الله  
عليه وسلم يقول (( اللهم أت نفسي تقوها وزكها أنت خير من  
زكها أنت وليها وهولها ))، قال الله سبحانه وتعالى ﴿أَهْدِنَا  
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]، وقال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا  
الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]، وقال تعالى ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ  
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا  
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ  
الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]، الله الذي أعدك، الله الذي أهدك، الله الذي  
هياك وأخرجك لا تعلم شيئاً ضعيف العقل ضعيف الجسم ضعيف  
سائر القوى، قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ  
ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً  
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ  
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْسًا فِي قَرَارٍ

**مَكِين \* خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ** [المؤمنون: 14], وقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباعٍ يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير \* ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا همسك لها وما يهسك فلا همسك له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ [فاطر: 2], من الذي يستطيع أن يبعد رحمة الله أو يهسك فضل الله عنك أو يجلبها لك ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الحديد: 21], كل نعمة أستهددها من الله، نعمة أمن، نعمة عزة، نعمة قوة، نعمة ملك، لا تستطيع أن تستهددها من شعب، ولا تستطيع أن تستهددها من مال، ولا تستطيع أن تستهددها من شيء، إنها الله معطي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (( اللهم لا مانع لها أعطيت ولا معطي لها منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد )) متفق عليه من حديث الهغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقال تعالى ﴿وما بكر من نعمة فمن الله ثم إذا همسكم الضر فالإيه تجارون﴾ [النط: 53], وقال سبحانه وتعالى ﴿لم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان: 20], وقال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34], فسواء القوة الجسدية أو القوة الهالية أو القوة الملكية أو القوة العقلية أو سائر ما أنت فيه كله من الله، قال تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد \* إن يشأ يذهبكم ويأت بخلقٍ جديدٍ﴾ [فاطر: 16], فلا يستطيع أحد

قُلْ أَوْ كَثُرَ أَنْ يَهْدِكَ بِقُوَّةِ مَا دَامَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَهْدِكَ، قَالَ  
 اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ  
 فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وَقَالَ  
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾  
 [الأنفال: 10]، وَقَالَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ  
 وَقَدْ هَدَانَا سَبِيلَنَا وَلِنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا أذَيْتَهُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، هَكَذَا شَأْنُ الْمُؤْمِنِ، فَالْحَذَرُ بَارَكَ اللَّهُ  
 فِيكُمْ وَمَنْ يَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الدِّيَهْقَرَاتِيَّةِ نَسْتَهْدِ قُوَّتَنَا مِنْ  
 الشَّعْبِ، فَإِنَّمَا يَفْتَخِرُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ خَطِيرَةٌ، الشَّعْبُ  
 لَيْسَ لَهُ الْحُكْمُ وَلَا الْقُوَّةُ، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾  
 [يوسف: 40]، وَالشَّعْبُ لَا يَهْدُ بِقُوَّةٍ، إِنَّمَا يَهْدُ بِالْقُوَّةِ اللَّهُ،  
 وَيَهْجُرُ لِمَنْ يَشَاءُ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا  
 فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُهْجُرُ فِي الْأَرْضِ  
 [القصاص: 6]، فَاللَّهُ يَهْجُرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ وَهَلِكِهِ،  
 قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحَقُّهُمُ الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ  
 وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]،  
 وَالشَّاهِدُ مَكَانَهُمْ، أَنْتَ لَا تَهْلِكُ لِنَفْسِكَ وَلَا لِغَيْرِكَ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا،  
 وَغَيْرِكَ لَا يَهْلِكُ لَكَ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى  
 لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا  
 ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا  
 مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]، وَ  
 قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ  
 إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قُوَّهَا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ

**شَيْءٌ حَفِيظٌ** [هود:57], وأُخْرِجْ مُسَلِّمًا فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَرُوي عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ (( يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ وَحَرَامًا فَلَا تَظَالَمُوا, يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ, يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْكُمْ, يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ, يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ, يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي, يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكْرَكُمْ وَجَنْبَكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مَلَكَ شَيْئًا, يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكْرَكُمْ وَجَنْبَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مَلَكَ شَيْئًا, يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكْرَكُمْ وَجَنْبَكُمْ قَاهُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْهَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ, يَا عِبَادِي إِنَّهَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَجْهَدْ لِلَّهِ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)).

هذه كلمةٌ مختصرةٌ تنبيهاً على تلك الكلمة التي اغتر بها بعض المسلمين ممن نرجو فيه الخير ونأمل منه الخير، وهي كلمة نستهد قوتنا من شعبنا، فهذه الكلمة خطأ، نسأل الله التوفيق والسداد لها يحبه ويرضاه.



---

سجلت وفرغت هذه الهادة في ظهر يوم السبت 13/جهد الأولى  
1432هـ

ويهنك تحويل الرسالة على صيغة pdf على هذا الرابط

[www.sh-yahia.net/new\\_files/005.pdf](http://www.sh-yahia.net/new_files/005.pdf)